

الأشكال التضاريسية الصحراوية المحلية

تباينت آراء علماء الجيولوجيا والجغرافيا والمناخ حول العوامل المساهمة في تشكيل معالم ومورفولوجية سطح البيئات الجافة وخاصة الصحراوية منها، فظهرت نظريتان الأولى، يؤكد علماءها على فعاليات التعرية الريحية لقوتها على تشكيل معالم سطح هذه المجالات القاحلة، وابتعاد فعاليات عنصر المياه بسبب قلة الأمطار وتوزيعها اللامتكافئ، لا في المكان ولا في الزمان داخل هذه المجالات القاحلة، بالإضافة الى شدة التبخر وقلة الغطاء النباتي.

أما أصحاب النظرية فيبرزون دور الأمطار والسيول في تشكيل معالم سطحية متنوعة مرتبطة بالتساقطات الغزيرة والمفاجئة التي تتلقاها هذه البيئة الصحراوية في فترة زمنية قصيرة مما يؤدي إلى تكوين سيول وحمولة مياه جارفة تغمر الوديان وتعمل على جريانها، فتخلق بالتالي تعرية هيدروكيمياوية، وكذا ميكانيكية بشدة الدفع وقوة الجريان. وكانت النتيجة حسب هذه النظرية هو تفريز أشكال ومعالم سطحية متنوعة، لذلك تشبثوا بنظريتهم التي تؤكد أن للمياه دورا بارزا في تشكيل مورفولوجية الصحراء، فقط في عمليات النقل وإعادة الترسيب.

وظهرت مؤخرا نظرية تؤكد النظريتين على يد العالم الألماني صاحب الدراسات الجيومورفولوجيا المناخية جيولوس يودبل من أصحاب المدرسة الألمانية، ويبين هذا العالم أهمية المناخ لكونه عنصرا فعالا في تشكيل معالم سطح هذه البيئة القاحلة أكثر من التكتونيات الداخلية المتمثلة في الإلتواءات والانكسارات والبراكين، بينما القوى الخارجية المتمثلة في المناخ تتخذ نظاما محددًا من القطب إلى خط الاستواء مما يؤدي إلى أفضلية تأثير المناخ في هذه التشكيلات التي تأثت ملامح الصحراء.

ومن هذه الأشكال التي تحمل أسماء محلية، نذكر ما يلي:

الكاراة، الكلب، العلب، الكعدة، الخنك، الطويلة، الركبة، الكرب، اكني، المكسم، الكديم، السهب، اكطي (الحفرة)، تاكراكر، تايبيرت، لكرابر، الحمادة.

فجل هذه الأسماء خرجت من نبع الوصف الدقيق والتميز للبدو الرحل لهذه الأشكال التضاريسية الفريدة، التي شكلت جزءا من حياتهم اليومية، بل احتلوا بها في تنقلاتهم، واستعانوا بها في تحديد أماكنهم، واستظلوا بها لتفادي حدة الحرارة والتشميس المفرط.

ومن المعلوم أن البدو يعرفون أرضهم (تراب البيضان) أكثر من أي باحث أو مستكشف أو مغامر في هذه البيئة القاسية، بل يعرفون كل صغيرة وكبيرة في مجالهم ابتداء من مسالك الطرق سواء التجارية منها أو الرعوية والتي غالبا ما تشق طريقها بين الكثبان الرملية والحمادات والأودية والجبال. والسبخات(سباخ) والكرابر وخاصة الآبار والعيون. وهذا الاحتكاك والارتباط الكبير بالمجال أوحى لهم بمسميات عرفوا وحددوا بها كل شكل من هذه التضاريس. وأول ما تم توظيفه في هذا الوصف هو أسماء أعضاء وأطراف جسدهم ك: الكلب، الركبة، الخنك، الخفرة، الرأس، لكراع. كما استعانوا في وصفهم بأوانهم المنزلية كالطبيلة والقعدة، وألصقوا عليها كذلك أوصاف لبعض أعضاء الحيوانات المحلية ك: بوكرين، ابو بوكرن، وجل هذه الأسماء بقيت حبيسة بيئتهم المحلية وخاصة لهجتهم الحسانية، كما استعانوا واستقوا أسماء بعض الأشكال التضاريسية من اللهجة الأمازيغية المجاورة لتخوم مجالاتهم خاصة درعة وواد نون ك: تاييرات وقليز وتاكرakra واكني واكطي. وتدخل هذه الأسماء في علم الدراسة الإمكانية أو ما يسمى بالبونيميا أو الاتيمولوجيا.

الكاراة أو الكور:

يراد بها عند السكان المحليين المنطقة المعزولة أو المنفصلة عن باقي التضاريس المحيطة، ونجدها في غالب الأحيان وسط كثبان رملية، أو في وسط سهول الرق(الرك) على شكل جزر معزولة حبيسة مجال يكسوه غطاء ممتد من الحجارة. هذه الكارة يمكن ان تكون على شكل جبل أو تل أو حمادة أو صخرة تعرضت للتعرية الريحية الميكانيكية التي شكلت مورفلوجيتها، وعملت على عزلها عن التضاريس الام. وندرج أنواعا من هذا الشكل المورفلوجي الخاص بالصحراء الجنوبية للمغرب ك: كاراة الذياب بالسمارة، كور لموحا، وكور الحفرة، وكور توف بإقليم واد الذهب، وكارات البكاري بنفس الإقليم، وعلى الحدود ما بين موريتانيا والمغرب نجد وكور الكنيفية نوكور أولاد عمران بامريكلي نواحي بوجدور.

العلب:

يطلق على شكل من أشكال الكثبان الرملية التي تؤثت المجال الصحراوي، وهذا النوع يكون على شكل كثيب رملي مستطيل معزول عن الكثبان الأخرى، يتشكل بفعل الرياح القوية وخاصة البحرية منها التي تدور رحاها في هذا الفضاء الفسيح لتعطينا الشكل النهائي لهذا النوع من الكثبان الرملية، ونورد النوع الأمثل الذي يحمل اسم حاسا أي العلب بالعركوب، وأعلب الكبش، كلها بإقليم واد الذهب، ونبغي الإشارة إلى أن هذا الاسم تحمله فخذة كبيرة من الترارزة هي لعلب (حمر الترارزة).

الطبيلة:

كما يدل الاسم، فهي صخرة وتل منعزل منحوت على شكل مائدة، مسطحة من الأعلى وضيقة من الأسفل، وأهم هذه الأشكال تجسدها لنا طبيلة سيدي أحمد العروسي بنواحي السمارة، وأحفاد هذا الشيخ من قبيلة العروسيين لهم رواية يرونها بحكم كونها خلوة للشيخ أحمد العروسي طيلة قيامه بالمنطقة، وبالتالي يقومون بزيارتها والتبرك فيها.

الخنك:

هذا الشكل المورفولوجي يطلق على خانق أو فج بين جدارين صخريين أو كديتين متقاربتين أو على مدخل لجبلين يطلق عليه الفم وغالبا ما يكون لمخرج واد من الجبل، واهم هذا النوع يمثله واد خنك السكوم بشمال السمارة.

الكلب:

دلالاته اللغوية تحيلنا إلى القلب، أما دلالاته المورفولوجية فهو طود معزول على شكل مثلث رأسه إلى الأعلى وقادته إلى الأسفل، وهذا النوع التضاريسي يعود إلى الزمن ما قبل الكامبري أي إلى النشاط البركاني الذي عرفته المنطقة، بحيث تركت صخورا التوائية غير منتظمة تتخللها طبقات رسوبية سميكة تراكتت بفعل التغيرات المناخية التي شهدتها المنطقة، تم تعرضت من جديد للنشاط الريحي الميكانيكي الذي أعطانا الشكل النهائي المتمثل في الكلب الحالي. وهذا الاسم يتغير مع حجم هذا الشكل المورفولوجي، فنجد مثلا شكلا ذا حجم صغير هو كليب أو مجموعة متجانسة تدعى كليات أو أكلاّب. فهذا الشكل التضاريسي يغطي جل المناطق الصحراوية، ويمكن أن نصادفه في معظم المجالات سواء الساحلية أو الداخلية منها. ونورد أماكن تحمل هذا الاسم ككلب بولوتاد، وكليات بوبكر، وكلب ادبش، وكليب اجديان، وأغلب هذه الأشكال المذكورة توجد بجهة واد الذهب - لكويرة.

الركبة:

أو الرقبة أي العنق فيكون أما على شكل ممر ضيق أو خنق بين قمتين تضارسيين أو على شكل عنق زجاجة طويل ناتج عن التعرية الميكانيكية التي شكلت معالمه الرياح القوية المحملة غالبا بحبيبات رملية والتي تعمل على نخر الصخور وتشتيتها فتعطينا هذه الأشكال الفريدة "الركبة" ومورفولوجياتها توحى بقدم المنطقة جيولوجيا وزمانيا. أما الأماكن التي تحمل نفس الاسم، فنجد واد بوركبة بنواحي السمارة وأم ركية شمال شرق بير كندوز وأم الركبة بتيرس. وجاء في المعجم العربي أن الرقبة أو العنق تطلق كذلك على الإنسان لشرفه وأهميته. كما كان أكبر قبيلة في الصحراء تحمل هذا الاسم أي "الركيات" أو الرقيبات وهناك من يعزي هذا الاسم للأب الأكبر لهذه القبيلة أي سيدي أحمد الركيبي

"الركيبي" أو "الركيبة" بدرعة نواحي زاكورة. ولذلك أطلق عليه لقب "الركيبي" نسبة الى المكان الذي دفن فيه، ومن تم حمل ابنه سيدي احمد الركيبي الجد الجامع للقبيلة اسمه ولقبه، وهو دفين نواحي السمارة على ضفاف واد الحبشي.

كديم:

على شكل قدم الإنسان، ولكن بترخيم مصغر، ويكون مستديرا كالقدم، ونجد هذا النوع في المناطق التي تنحتها مجاري الوديان، تاركة وراءها جزرا رسوبية كالإقدام. ومن بين هذه الأماكن، نذكر: كديم النكجير بنواحي إقليم واد الطهب.

الخنفرة:

شكل من أشكال خبايا الصحراء المورفولوجية، ويعني الأنف، وتوصف به الكدية التي تبدو للناظر من بعيد وكأنها أنف ممتدة على سطح الأرض. وهي من بقايا مخلفات التعرية الأحادية الجانب، ومن الأماكن التي تحمل هذا الإسم نجد خنفرة الفوش بالعركوب وراس الخنفرة بطانطان.

أكطي أو الحفرة:

أصل الكلمة أمازيغي وتكتب بأكضي وتعني الحفرة، وهذا الشكل الطبوغرافي من الحفر يكون ذا عمق متوسط وغالبا ما تكون معشوشبة. ومن هذه الحفر ندرج ما يلي: كور الحفرة، حفرة لكراف، وحفرة النصراني وهي موجودة كلها بإقليم واد الذهب، وإكطيان لحويمادات شرق بوجدور.

أكني:

ويعني باللغة الأمازيغية المنخفض المقعر، ويحتل هذا الشكل الطبوغرافي قعور الأودية ونجدها كذلك في الأوساط الجبلية، وتغمرها المسيلات المائية في الفترات المطيرية.

الكرب:

هي حاشية الحمادة التي تشرف على سفح المقعر، وبنية الكرب تذكرنا بالكويستا مع فارق بسيط في ميل الطبقات. وحين تتجزأ الحمادة تعطينا أخرى تسمى بالكارة .

الكعدة أو القعدة

سطح منبسط على مجال واسع يشكل ظهر حمادة أو هضبة صحراوية، ومن أهمها على الإطلاق الكعدة الممتدة ما بين طانطان والسمارة، وهي شاسعة الأطراف تتخللها كثبان رملية وتخرقها أودية متشعبة تجزا سطحها.

تاكراكرا:

هو منخفض يكون بجوار الحمادات وتحفه منحدرات قوية، ويتلقى من هذه المنحدرات المجاورة مواد رسوبية عن طريق التعرية إما الريحية أو المائية. فهذا الشكل التضاريسي المحمي بحافات الحمادة يوفر للسكان المحلية مجالا ممتد الأطراف للزراعة ومرتعا للرعي.

تايرت:

هو اسم أمازيغي يقصد به إما ثل أو جبل منعزل مقوس وهلالى الشكل يكون غالبا بمحاذاة الحمادات.

قليز أو كليز:

اسم ذو الأصول الأمازيغية ويقصد به ذاك الجبل المستقل والمنفصل عن باقي التضاريس المحيطية. وهذا الشكل نجده كذلك في مناطق أخرى من التراب الوطني كجبل كيليز بمراكش.

أقوتي أو أگوتي:

هو جبل صخري صلب التكوين، يكون محاطا بمنخفضات تغمرها الكثبان الرملية.

المكسم:

كلمة حسانية مشتقة لغويا من القسمة، لأن شكله مجزأ بفعل التعرية، ويتشكل من شروحات كبيرة، نجدها بكتلة أكركر، خاصة بمكسم إيمي إليلي جنوب العركوب.

السهب:

جاء في لسان العرب التعريف الشامل للسهب كما يلي:

السهب من الأرض: المستوى في السهولة، والجمع سهوب. وقيل السهوب المستوية من الأرض. ومكان مسهب أي لا يمنع الماء ولا يمسه. ومحليا يطلق هذا المصطلح على العرق، أي الأراضي التي تكسوها الكثبان الرملية أو الأراضي المرملة، وتكون شاسعة الأطراف وممتدة. وهناك من يقصد بها قعور الأودية أو ضفافها، وقد يطلق كذلك اسم

السهب على السهول الساحلية كسهب خنيفيس. ومن المناطق التي تحمل هذا الإسم سهب ميران بنواحي السمارة وسهب النباكة بالحكونية.

- ابن منظور، لسان العرب، مطبعة دار الحديث، القاهرة، مصر، 2003،
أحمد بن الأمين الشنقيطي، "الوسيط في تراجم أدياء شنقيط"، الطبعة الخامسة، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، 2002،
محمد الغربي، "الساقية الحمراء ووادي الذهب"، ج 1، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ،
أحمد الهاشمي، "المشهد الطبيعي في طوبونيمبا المجال الصحراوي، كتاب الصحراء الاطلنتية:المجال والانسان"،
منشورات وكالة الجنوب، الرباط، 2009،
أنس عمران وبوشتي الفلاح، البنية ومظاهر السطح بالجنوب المغربي، مجلة المناهل، عدد 58 مارس 1998،
مولاي إدريس شداد وآخرون، "جهة العيون-بوجدور-الساقية الحمراء، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة"، سلسلة تاريخ
جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009،
مولاي إدريس شداد وآخرون، "جهة واد الذهب لكويرة، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة"، سلسلة تاريخ جهات المغرب،
منشورات عكاظ، الرباط، 2009.

Brenneisen .C.M. Das ressource potential der Westsahara und seine Bedeutung fur die
etablierung eines neuen staates,hannover ,1985.

Caro Baroja, Julio, Estudios Saharianos , Ed .Jugar, Barcelona ,1990.

Cheddad My Driss, Sahara : Ecosystème fragile, ressources naturelles limitées et
engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau
socio-économique et spatiale. Revue Horizons universitaires, n° 3 vol.2, Université
Mohammed V– Souissi – Rabat , Novembre, 2006.

Comba Ezquerro, Juan antonio, La Investigacion minera en la provincia del Sahara, archivos
del Instituto de estudios Africanos, n°59 Madrid,1961.

V. Monteil, M., Notes sur la toponymie, l'astronomie et l'orientation chez les Maures, in
Hesperis, T. 36, 1949 ,p.189- 219.

مولاي إدريس شداد

*معلمة المغرب، ملحق، ج 3، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى 2014